التَّرْبِيَةُ بِالتَّوْبَةِ

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إعْدادُ:

د. أَحْمَدِ بْنِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ الضُّلَيْمِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأُصُولِ الدِّينِ فِي الْجَامِعَةِ

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم والصلاة والسلام على إمام المربين وقدوة المعلمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فإن من أعظم النعم التي منّ بها الله تعالى على عباده نعمة الإسلام، قال تعالى. ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه»[2] وإن أعظم ما يؤدي إلى الأخذ بالإسلام وتحويله إلى واقع سلوكي عملي ملموس له آثاره الواضحة في كافة شئون الناس هو أخذ النفس والأهل والناس جميعاً بهذا الدين من خلال التربية والتنشئة والإعداد، وفقاً لأسس الدين وأصوله، وفي ضوء أساليبه، والتزاماً بمبادئه وقيمه وأخلاقه.

وإن من أهم وأبرز وأحسن الأساليب التي تعمل على تحقيق الهدف المتقدم هو أسلوب التوبة الذي له من الأهمية والفاعلية والتأثير والايجابية في مجال التربية والتزكية والتنمية والتطهير ما ليس لغيره من الأساليب الأخرى.وقد شهد الكتاب والسنة بالمنافع العظيمة والإيجابيات الكبيرة للتوبة إلى الله عز وجل وما تتركه من آثار إيجابية تشمل الفرد والمجتمع وتنتظم الحياة بكافة تفاصيلها ومختلف نشاطها وجميع ميادينها، فالتوبة سبيل الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وفي التوبة الخير كله والنفع كله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا

(١) سورة المائدة، آية ٣ .

(٢) مالك، الموطأ: كتاب القدر: باب النهي عن القول بالقدر: ح ٣، ٢/٨٩٩.

(٣) سورة النور، آية ٣١.

لَعَلَّكُمْ ﴾[1] والتوبة الصادقة هي خير وسيلة لبناء الصلة بالله والقرب منه ونيل محبته ورضوانه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[3] وللتوبة من الآثار الإصلاحية ما يؤدي إلى إصلاح الفرد واستقرار المجتمع وأمنه وسلامته من جميع ألوان الفساد والانحراف فاستقرار الفرد والمجتمع وتقدمهما ونهوضهما ورخاؤهما مرهون بالتوبة الصادقة إلى الله؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[4]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾[5] وبناءً على ما تقدم يأمل الباحث – بفضل من الله وتوفيق منه – أن يوضح ويبرز ما للتوبة من آثار فاعلة وإيجابية ودور التربية بها في تحقيق هذه الآثار.

● أهمية البحث:

تعد التربية بأسلوب التوبة من أهم الأساليب التربوية وأكثرها نجاحاً وفاعلية؛ وذلك لما تتركه التربية بهذا الأسلوب من آثار إيجابية تشمل كافة جوانب شخصية المتربي، كما يمتد أثر التربية بأسلوب التوبة إلى الناحية الاجتماعية بكافة تفاصيلها وشئونها، ويمكن إبراز أهمية هذا البحث من خلال الأوجه التالية:

١) عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بأسلوب التوبة؛ وذلك

---

(١) سورة التوبة، آية ٧٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

(٣) سورة طه، آية ٨٢.

(٤) سورة هود، آية ٣.

(٥) سورة هود، آية ٥٢.

من خلال الدعوة إليها وبيان الآثار الإيجابية المترتبة على الأخذ بها.

٢) إن التوبة تحتل اهتماماً كبيراً وتأخذ جانباً عظيماً في حياة أفضل الناس وصفوة الخلق وخيرهم؛ وهم رسل الله وأتباعهم والسائرون على نهجهم.

٣) حاجة المؤسسات التربوية والتعليمية إلى الاستفادة من التربية بأسلوب التوبة؛ حيث تشهد هذه المؤسسات قصوراً واضحاً بالأخذ بهذا الأسلوب والإفادة منه، فيكون في أخذها به سعيٌ نحو تحقيق الشمول والتكامل في المنهج التربوي الإسلامي المنشود.

٤) ندرة الدراسات المهتمة بموضوع التوبة من الناحية التربوية؛ حيث تندر الدراسات الجامعية العلمية عن هذا الموضوع، كما يندر طرحه ضمن المصادر التي تعنى بالبحث في طرق التربية الإسلامية وأساليبها.

٥) يأمل الباحث – بفضل من الله وتوفيق منه – أن تسهم هذه الدراسة في تأصيل المنهج التربوي داخل المؤسسات التربوية في المجتمع المسلم.

• أهداف البحث.

في ضوء ما لأسلوب التوبة من أهمية وفاعلية في المجال التربوي يمكن القول إن أهداف هذا البحث تتمثل فيما يلي:

١) إيضاح معنى التوبة في اللغة والقرآن الكريم.

٢) بيان أهمية التربية بأسلوب التوبة كما جاءت في كتاب الله عز وجل.

٣) إبراز الطرق التي سلكها القرآن الكريم في الدعوة إلى التوبة والترغيب فيها.

٤) إيضاح الآثار التربوية الإيجابية التي تترتب على التوبة الصادقة إلى الله عز وجل.

٥) بيان كيفية الإفادة من التربية بأسلوب التوبة في المؤسسات التربوية

والتعليمية: في البيت، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام.

● حدود البحث.

يعنى هذا البحث بإيضاح مفهوم التوبة، وبيان أهميتها، وإيضاح أساليب الترغيب فيها، وإبراز ما يترتب عليها من آثار تربوية إيجابية، والإرشاد إلى طرق الاستفادة منها في البيئات التربوية المختلفة؛ وذلك في ضوء القرآن الكريم.

● منهج البحث.

سيقوم الباحث – إن شاء الله تعالى – باتباع المنهج الاستنباطي في هذا البحث، وهو المنهج الذي يعرف بأنه: (الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة) [1]. بالإضافة إلى مقتضيات المنهجية في البحث والتي تتمثل فيما يلي:

١- عزو الآيات وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية فيها.

٢- تخريج الأحاديث والآثار من مظانها في الصحيحين والسنن.

٣- شرح الغريب من الألفاظ.

٤- الترجمة لمن يحتاج إلى ترجمة من الأعلام.

٥- تزويد البحث بمجموعة من الفهارس تشمل فهرس الآيات والأحاديث والمصادر والمحتويات.

● الدراسات السابقة.

بعد البحث في المصادر المعنية توصل الباحث إلى العديد من الدراسات العلمية ذات الصلة بموضوع بحثه والتي يمكن تصنيفها على النحو التالي:

(١) فودة، حلمي محمد، عبد الرحمن صالح عبد الله، المرشد في كتابة الأبحاث، ص ٤٢.

أولا: دراسات بحثت موضوع التوبة إلا أنها تناولته من جوانب مختلفة عن الجوانب التي اهتم بها الباحث.ومن أبرز هذه الدراسات ما يلي:

(١) التوبة وأثرها في الجرائم[١]

حيث تناول الباحث موضوع التوبة من حيث دورها وأهميتها فيما يتعلق بالجريمة ومفهومها وأنواعها ودور التوبة في الوقاية منها وعلاجها، وتوصل إلى العديد من النتائج التي تبرز أثر التوبة في معالجة الجرائم والتخفيف من آثارها، وبمقارنة هذه الدراسة بدراسة الباحث يتضح الفرق بينهما حيث عنيت هذه الدراسة بإبراز أثر التوبة في معالجة الجريمة والوقاية منها بينما عني بحث الباحث بتناول موضوع التوبة تناولا تربويا شاملا أبرز من خلاله أهميتها وآثارها وأساليب الترغيب فيها.

(٢) أثر التوبة في إسقاط الحد:[٢]

وهذه الدراسة تناولت موضوع التوبة تناولا فقهيا بحتا حيث اهتمت بإيضاح دور التوبة في إسقاط الحد وتناولت آراء الفقهاء في هذا الجانب وبالتالي تختلف هذه الدراسة عن دراسة الباحث اختلافا جوهريا، وذلك لعناية الباحث بإبراز دور التوبة وأهميتها وأثرها من الناحية التربوية

ثانيا: دراسات تناولت موضوع التوبة تناولا اشتركت فيه في بعض الجوانب والاهتمامات مع بحث الباحث واختلفت معه في أكثر الجوانب التي تناولها، ومن أبرز هذه الدراسات ما يلي:

---

(١) الطريقي، عبد الرحمن بن علي: التوبة وأثرها في الجرائم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة .

(٢) المقاطي، جوهرة مسعود: أثر التوبة في إسقاط الحد، كلية التربية للبنات بجدة، رسالة دكتوراه غير منشورة .

(١) التوبة في ضوء القرآن الكريم[١].

وقد ألقت هذه الدراسة الضوء على العديد من الجوانب المتعلقة بالتوبة كبيان مفهومها وحكمها وشروطها وعلاقة الاستغفار بها والأمور التي تكون التوبة منها، كما تناولت الذنوب وأقسامها وآثارها الفردية والاجتماعية، وقدمت العديد من نماذج التوبة التي وردت في القرآن الكريم، أما عناية هذه الدارسة بالناحية التربوية فقد كانت يسيرة ومقتضبة حيث تناولت الدراسة أثر التوبة من الناحية الاجتماعية والخلقية وأهملت الكثير مما يتعلق بموضوع التوبة من الناحية التربوية، وهو ما انصب عليه جهد الباحث.

(٢) التوبة وأثرها في الفرد والمجتمع[٢].

وهذه الدراسة كسابقتها عنيت ببيان مفهوم التوبة ووجوبها وشروطها كما تناولت علاقة التوبة ببعض الجوانب الاجتماعية والفقهية كعلاقتها بالحسبة والتعزير والحدود، كما بينت أثر التوبة في الفرد كالتضحية بالنفس والمال وأثرها في المجتمع في التحلي ببعض الفضائل الخلقية كالحياء وتكوين الرأي العام الفاضل وزجر العصاة وختم هذا البحث بذكر بعض النماذج للتائبين في القرآن الكريم، وبتأمل هذه الدراسة يتضح الفرق بينها وبين بحث الباحث حيث أغفلت الكثير من الجوانب المتعلقة بموضوع التوبة من الناحية التربوية كأهمية التوبة وآثارها ووسائل الترغيب فيها وتطبيقاتها التربوية.

---

(١) نصر، آمال صالح: التوبة في ضوء القرآن الكريم، كلية التربية للبنات بجدة، رسالة ماجستير منشورة، عام هـ/١٩٩٨م .

(٢) خضر، أسامة عباس: التوبة وأثرها في الفرد والمجتمع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة .

المبحث الأول: معنى التوبة

المطلب الأول: معنى التوبة في اللغة

للتوبة في اللغة معانٍ عديدة من أبرزها:

(١) الرجوع عن المعاصي. يقال: (تاب إلى الله توبا ومتابة و متابا: أي رجع عن المعصية)[١]. قال الراغب: (التوب ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار)[٢]

(٢) وتاب الله عليه: عاد عليه بالمغفرة ووفقه للتوبة[٣] وقبل توبته.[٤]

(٣) والتائب يقال لباذل التوبة، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده.[٥]

(٤) والتواب: العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركاً لجميعه.[٦]

(٥) وقد يقال لله ذلك، لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال.[٧]

(٦) كما أن الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل يعد معنى من معاني التوبة.[٨]

---

(١) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط: ص ٧٨ .

(٢) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ٧٦ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ١/٢٣٣ .

(٤) المرجع السابق، نفس المكان.

(٥) المرجع السابق، نفس المكان.

(٦) المرجع السابق، نفس المكان.

(٧) ابن منظور: المرجع السابق، نفس المكان.

(٨) الراغب الأصفهاني: المرجع السابق، نفس المكان.

المطلب الثاني: معنى التوبة في القرآن الكريم

عند النظر والتدبر في كتاب الله العزيز يجد الباحث في مفهوم التوبة في القرآن الكريم معاني عديدة يتمثل أهمها وأبرزها فيما يلي:

(١) الرجوع عن الذنوب والمعاصي. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

(٢) الرجوع إلى ما يحبه الله ويرضاه.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)

قال السعدي(٣) في معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: «يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه» وقال الإمام القرطبي: «الراجع إلى الطاعة هو أفضل من الراجع عن المعصية؛ لجمعه بين الأمرين»(٤) وقال أيضا: «وتاب العبد: رجع إلى طاعة ربه»(٥)

(٣) وقد يختصر معنى التوبة في القرآن الكريم في أمور معينة:

كالتوبة من التعامل بالربا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ (٦)

---

(١) سورة الأنعام، آية ٥٤ .

(٢) سورة المائدة، آية ٧٤ .

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٥٩ .

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن،: ٢٦٩/٨ .

(٥) المرجع السابق، نفس المكان .

(٦) سورة البقرة، آية ٢٧٩ .

والتوبة من الزنا كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ (١)

والتوبة من النفاق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ (٢).

والتوبة من الحرابة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

(٤) ومن معاني التوبة في القرآن التوفيق لها والإعانة عليها، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (٤) فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: (أذن في توبتهم ووفقهم لها) (٥).

---

(١) سورة النساء، آية ١٦ .

(٢) سورة النساء، آية ١٤٦،١٤٥ .

(٣) سورة المائدة، آية ٣٣، ٣٤ .

(٤) سورة التوبة، آية ١١٨.

(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص ٥٦٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨ / ٢٨١.

(٥) وفي معنى التوفيق للتوبة والإعانة عليها يقول العلامة السعدي[١]: (أي يلطف لكم في أحوالكم وما شرع لكم؛ حتى تتمكنوا من الوقوف على ما حده الله والاكتفاء بما أحله؛فتقل ذنوبكم بسبب ما يسر الله عليكم فهذا من توبته على عباده).

(٦) كما أن قبول التوبة يعد أحد معاني التوبة في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢] فمعنى قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾أي: (رحمهم بقبول توبتهم)[٣].

(٧) كما أن الدخول في الإسلام يعد معنى من معاني التوبة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[٤] فالتوبة هنا هي التوبة من الكفر الذي لا توبة منه إلا بالدخول في الإسلام؛ فيصبح الدخول في الإسلام بذلك معنى من معاني التوبة[٥].

(٨) كما أن تكفير الأعمال السيئة بأعمال صالحة يعد لونا من ألوان التوبة ومعنى من معانيها في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص ٢٤٧ .

(٢) سورة النساء، آية ٦٤ .

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ٢٦٣ .

(٤) سورة آل عمران، آية ١٢٧، ١٢٨ .

(٥)، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ٢٠٠ .

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[١] قال السعدي[٢] في معنى قوله تعالى: ﴿ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: «هذه الكفارات التي أوجبها الله تعالى على القاتل توبة من الله على عباده ورحمة بهم وتكفيرا لما عساه أن يحصل منهم».

(٩) ومن معاني التوبة في القرآن الكريم: الندم على ما مضى، والإقلاع، والعزم على عدم العودة، وهي أعظم معانيها وشروطها التي لا تقبل إلا بها، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] قال السعدي[٤] في معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا ﴾ «بأن ندموا على ما مضى، وأقلعوا عنه، وعزموا على ألا يعودوا».

(١٠) ومن معاني التوبة في القرآن أيضا: التخفيف. قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾[٥] أي: (خفف عنكم أمركم بما يتيسر عليكم)[٦] (ورجع لكم من تثقيل إلى تخفيف، ومن عسر

---

(١) سورة النساء، آية ٩٢ .

(٢) عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص ٢٧٨.

(٣) سورة الأعراف، آية ١٥٣.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص ٤٧٥، ص ١٠١، ص ٢٤١، ص ٣٩٠.

(٥) سورة المزمل، آية ٢٠.

(٦) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص ١٥٢٦.

إلى يسر)[1].

(١١) ومن معاني التوبة في القرآن الكريم: تجديد التوبة لمن بلغ الأربعين قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[2] قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾: (فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله)[3].

(١٢) ومن معاني التوبة في القرآن: التوبة النصوح؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[4] قيل (المراد بها: التوبة الشاملة لجميع الذنوب)[5] وقيل: معناها: (أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه)[6] وقيل: (معناها أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف في الماضي، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه)[7] وقد ذكر القرطبي ثلاثة وعشرين معنى للتوبة.[8] ومرادف لمعنى التوبة النصوح ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا﴾[9] أي: (غاية الكمال)[10]

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ١٩/٥٢.

(٢) سورة الأحقاف، آية ١٥.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم،: ٤/ ١٧٠.

(٤) سورة التحريم، آية ٨.

(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ١٤٨٧.

(٦) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، المرجع السابق: ٤/٤١٨.

(٧) المرجع السابق، نفس المكان.

(٨) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/١٩٧/١٩٩.

(٩) سورة الفرقان، آية ٧١.

(١٠) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ٩٦٨.

ومن خلال النظر والتأمل في معاني التوبة السالفة الذكر يتضح أن أثر التوبة في حياة الإنسان هو أثر بالغ الأهمية، حيث تنتج التوبة إنسانا نظيفا طاهرا، وثيق الصلة بالله عز وجل، بعيدا عن جميع المفاسد والانحرافات، كما أنها تجعل الإنسان محل رضا الله وتوفيقه وقبوله.

المبحث الثاني: أهمية التربية بأسلوب التوبة

يختلف المتربون في مدى استجابتهم للأسلوب التربوي المتبع في تربيتهم والتعامل معهم.ولعل هذا يؤكد على حقيقة هامة أساسية في ميدان التربية وهي ضرورة التنويع في أسلوب التربية والتعامل مع كل متربي بالطريقة التي تلائمه والأسلوب الذي يصلحه فلا شك أن بعض المتربين يتأثر بالقدوة فيكون لوجود القدوة الصالحة أحسن الأثر في إصلاحه واستقامته كما أن البعض الآخر يستجيب لأنواع أخرى من أساليب التربية وطرقها كطريقة الترغيب والترهيب بينما يحتاج بعض المتربين وبسبب وقوعهم في الأخطاء والمزلات إلى أسلوب مختلف يأخذ بأيديهم ويهديهم إلى طريق الخير والرشد.وهذا الأسلوب هو أسلوب التوبة وقد عني القرآن الكريم وهو المصدر التربوي الأول بالتربية بالتوبة عناية كبيرة حيث وردت كلمة التوبة ومشتقاتها في القرآن الكريم مائة وتسع عشرة مرة، فجاءت بصيغة الماضي والمضارع والأمر، وشملت وصف الله تعالى بها، كما شملت وصف أنبيائه وعباده المؤمنين بها، وقد شمل هذا التكرار لكلمة التوبة أمورا عظيمة وميادين واسعة، فشملت: حال الأنبياء عليهم السلام معها واتصافهم بها، كما شملت حال المؤمنين معها، كما يوضح ورود كلمة التوبة في القرآن الكريم وتكرارها فيه شمولها لكافة ميادين الحياة ومجالاتها، من توبة عن الشرك، إلى توبة عن المعاصي، وعودة إلى محاب الله ومرضاته، كما

شملت التوبة جميع السلوكيات الخاطئة: كالزنا، والحرابة، والتعامل بالربا، والتخلف عن الجماعة المسلمة، والنفاق، والتعدي على المؤمنين، وغير ذلك من ألوان الفساد وأشكال الانحرافات، ومن أهم وأبرز الأوجه والاعتبارات الدالة على أهمية التربية بأسلوب التوبة ما يلي:

المطلب الأول: أمر الله– عز وجل – بالتوبة ودعوته إليها

فقد أمر الله – سبحانه وتعالى – بالتوبة ودعا إليها، فقال – سبحانه – في كتابه العزيز: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] قال الإمام القرطبي في معنى الآية: (قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ﴾ أمر، ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة، وإنها فرض متعين)[2] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[3] قال السعدي في معنى الآية: «قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية»[4] وقال الإمام القرطبي في معنى الآية أيضا: «هذا أمر بالتوبة، وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل زمان»[5].

المطلب الثاني: وصف الله تعالى نفسه بأنه تواب.

كما أن اسم التواب من أسماء الله تعالى الحسنى، وهذا يدل على أهمية التوبة وحاجة البشرية إليها.

---

(١) سورة النور، آية ٣١ .

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، المرجع السابق: ١٢/ ٢٣٨ .

(٣) سورة التحريم، آية ٨ .

(٤) عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ١٤٨٧ .

(٥) القرطبي، محمد بن أحمد، المرجع السابق: ١٨ / ١٩٧.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[٣].

المطلب الثالث:

دعوة الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم إلى التوبة

فهذه الدعوة تدل على أهمية التوبة وأن فلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلا بالتوبة إلى الله عز وجل، وإلا لما حرص أنبياء الله – عليهم السلام – على دعوة أقوامهم إليها والتأكيد عليها، كما جاء على لسان نبي الله هو –عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٤] وكما جاء على لسان نبي الله صالح – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٥].

وكما جاء على لسان نبي الله شعيب – عليه السلام – في قول الله عز وجل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٦] وكما جاء على لسان نبي الله موسى – عليه السلام – في قول الله تعالى ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[٧] كما دعا سيد المرسلين – عليه أفضل الصلاة والتسليم – أمته إلى التوبة، فقال: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة)[٨].

---

(١) سورة النور، آية ١٠ .

(٢) سورة الحجرات، آية ١٢ .

(٣) سورة النصر، آية ٣ .

(٤) سورة هود، آية ٥٢ .

(٥) سورة هود، آية ٦١ .

(٦) سورة هود، آية ٩٠ .

(٧) سورة البقرة، آية ٥٤ .

(٨) مسلم، صحيح مسلم:: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب استحباب =

المطلب الرابع:
أحوال الأنبياء عليهم السلام مع التوبة

بين القرآن الكريم في العديد من المواضع أحوال أنبياء الله – عليهم السلام – مع التوبة، فبين كثرة توبتهم إلى الله ورجوعهم إليه:

أ)فقد وصف القرآن الكريم أبا الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - بكثرة الرجوع إلى الله والإنابة إليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[1] أي: (راجع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء والاستغفار والإنابة إلى ربه)[2] وقال تعالى: في وصفه أيضا: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[3] ومعنى منيب: أي (رجاع إلى الله)[4].

ب) كما وصف الله - تبارك وتعالى – نبيه داود - عليه السلام - بكثرة الأوبة والرجوع إلى الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[5] أي: (رجاع إلى الله في جميع الأمور، بالإنابة إليه بالحب، والتأله، والخوف، والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاع إليه، عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح)[6].

ج) كما وصف –سبحانه وتعالى - نبيه سليمان - عليه السلام - بنفس

= الاستغفار والإكثار منه: ح (٤٢/ ٢٧٠٢)، ٤/٢٠٧٦.

(١) سورة التوبة،آية ١١٤.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص ٥٦١.

(٣) سورة هود، آية ٧٥.

(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ٦٢٠.

(٥) سورة ص، آية ١٧.

(٦) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ١١٨٩-١١٩٠.

الوصف، فقال سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[١].

د) كما وصف الله - عز وجل- نبيه أيوب عليه السلام بذات الوصف، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[٢].

المطلب الخامس:

دعوة النبي ﷺ إلى التوبة وحاله معها

دعا النبي ﷺ أمته إلى التوبة وحثهم عليها، فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٤] وهذا يدل على أنه ﷺ كان دائم التوبة والإنابة والأوبة والرجوع إلى الله عز وجل.بل إنه ﷺ سمى نفسه نبي التوبة مما يدل على أهميتها والحاجة إليها، فعن أبي موسى الأشعري، قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي[٥]، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[٦].

---

(١) سورة ص، آية ٣٠.

(٢) سورة ص، آية ٤٤.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، ح (٢٧٠٢/٤٢)، ٢٠٧٦/٤ .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري:: كتاب الدعوات: باب استغفار النبي ﷺ، ح ٢٣٥٥/١٢٦، ١٠١/١١.

(٥) المقفي: المتبع للأنبياء، صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ١٨٢٩/٤ .

(٦) مسلم، صحيح مسلم:: كتاب الفضائل: باب في أسمائه ﷺ: ح ١٢٦/ ٢٣٥٥، ١٨٢٨/٤- ١٨٢٩.

المطلب السادس:

التوبة صفة المؤمنين والمؤمنات وحالهم التي لا ينفكون عنها

فقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بأحسن الأوصاف وأفضلها وأطيبها، ومن ضمن تلك الصفات صفة التوبة.

قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ومعنى (التائبون) في الآية: أي (الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات)[2] كما بين سبحانه أن التوبة من صفات المستقيمين على الدين مع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[3] وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[4] بأنه الثبات على التوبة[5] كما فسر قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[6]

(بأنه توبة الله عليهم بكل حال)[7] ولا شك أن حرص هذا الدين على توبة المؤمنين الدائمة وعلى تمسكهم بها يدل على أهميتها للمسلم وأن حياته لا تستقيم بدونها.

---

(١) سورة التوبة، آية ١١٢ .

(٢) تفسير السعدي: ص ٥٦٠ .

(٣) سورة هود آية، ١١٢ .

(٤) سورة التوبة، آية ١١٨ .

(٥) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٢٨١ .

(٦) سورة الأحزاب، آية ٧٣ .

(٧) القرطبي، محمد بن أحمد، المرجع السابق: ١٤ / ٢٥٨ .

المطلب السابع: وجوب التوبة وفرضيتها

لا يوجب الإسلام ولا يفرض أمراً على المسلمين إلا لأن في فرضه وإيجابه عليهم خيرهم وسعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، ومن هذا المنطلق جعل الإسلام التوبة فرضاً وواجباً على جميع المسلمين، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «اتفق العلماء على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة.... وهي من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة والجماعة بالشرع»[١] وفي وجوب التوبة وفرضيتها يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «لا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة وأنها فرض متعين»[٢] وقد علق الإمام النووي على قوله ﷺ: « يا أيها الناس توبوا إلى الله...الحديث»[٣] بقوله: «هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٥] وقد سبق في الباب قبله بيان سبب استغفاره وتوبته ﷺ ونحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج»[٦].

المطلب الثامن: فضل التوبة وقيمتها ونفعها

ومما يدل على أهمية التوبة والحاجة إليها ما تؤدي إليه من الخير والنفع، وذلك بما لها من قيمة عظيمة وفضل كبير، قال تعالى ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا

---

(١) النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/٥٩ .

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، المرجع السابق: ١٢/٢٣٨ .

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ح (٤٢/٢٧٠٢) ٤ /٢٠٧٦ .

(٤) سورة النور، آية ٣١ .

(٥) سورة التحريم، آية ٨ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/٢٤-٢٥ .

لَّهُمْ﴾ [1] ومعنى قوله تعالى: ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أي: (أنفع لهم)[2] قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في فضل التوبة وقيمتها ونفعها: «ما أنعم الله على هذه الأمة نعمة بعد الإسلام هي أفضل من التوبة»[3] وكفى التوبة فضلا وشرفا وأهمية أن سمى الله بها سورة من سور كتابة العزيز؛ فهي سورة التوبة (لأن فيها التوبة على المؤمنين)[4].

المبحث الثالث:

أساليب الترغيب في التوبة في القرآن الكريم

لما كانت التوبة إلى الله عز وجل أمرا مهما وضروريا وأساسيا في حياة المسلم لا تستقيم حياة الفرد والمجتمع المسلم ولا تصلح إلا بها؛ فقد حث القرآن الكريم عليها ورغب أشد الترغيب في التمسك بها والحرص الدائم المستمر عليها؛ وذلك من خلال الكثير من الطرق والأساليب والتي من أهمها وأبرزها ما يلي:

المطلب الأول:

إعطاء الفرصة الكافية للتائب وعدم تقنيطه من قبول توبته

فقد دعا الله عز وجل عباده المذنبين إلى الإقبال عليه بالتوبة النصوح وعدم اليأس من رحمته مهما بلغت ذنوبهم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) سورة التوبة، آية ٧٤.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، المرجع السابق: ٨/٧١.

(٣) المرجع السابق، ١/٤٠٢.

(٤) الرازي، محمد ضياء الدين: مفاتيح الغيب: ١٦/٢٢٣.

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1] ففي هذه الآية يخبر تعالى عباده المكثرين من الذنوب بسعة رحمته ويحثهم على الإنابة إليه، وأنه سبحانه يغفر جميع الذنوب إذا تاب العبد وأناب إلى ربه[2]. وعن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل؛ حتى تطلع الشمس من مغربها»[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[4] وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: «إن الله – عز وجل – يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[5].

المطلب الثاني: محبة الله للتائبين وفرحه بهم

ومن الأساليب التربوية التي سلكها القرآن في الترغيب في التوبة والحث عليها بيان محبة الله للتوابين وشدة فرحه بتوبتهم، ولا شك أن هذه المحبة والفرحة لها أعظم الأثر في الدفع نحو التوبة والإقبال عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[6].وعن أبي هريرة رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ «لله أشد فرحا بتوبته أحدكم من أحدكم بضالته إذا

(١) سورة الزمر، آية ٥٣، ٥٤.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٢١٩.

(٣) مسلم: صحيح مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة، ح ٢٧٥٩، ٢١١٣/٤.

(٤) نفس المرجع: ص ٢٠٧٦: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار: ح ٢٧٠٣.

(٥) ما لم يغرغر: ما لم تبلغ الروح الحلقوم، صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٠/٢.

(٦) سورة البقرة، آية ٢٢٢.

وجدها»[1] قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «قال المازري: المراد هنا أن الله تعالى يرضى توبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة فعبر عن الرضا بالفرح؛ تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع، ومبالغة في تقريره»[2].

المطلب الثالث:

قبول الله لتوبة التائبين ومغفرته لهم ورحمته بهم وإجابته دعاءهم

فهذه الأمور من أهم أساليب الترغيب في التوبة:

أ) فإخبار الله التائبين أنه يقبل توبتهم لا شك أنه سبب مهم لإقبالهم على التوبة وترغيبهم فيها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[4].

ب) كما أن مغفرة الله لذنوب التائبين من أسباب الإقبال على التوبة والمسارعة إليها؛ قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[7].

ج) كما أن من أسباب الإقبال على التوبة أيضا رحمة الله تعالى بالتائبين؛

---

(١) صحيح مسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوب والفرح بها، ح ٢/ ٢٦٧٥، ٤/٢٠١٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/٦١.

(٣) سورة التوبة، آية ١٠٤.

(٤) سورة الشورى، آية ٢٥.

(٥) سورة غافر، آية ٣.

(٦) سورة طه، آية ٨٢.

(٧) سورة الأعراف، آية ١٥٣.

قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢] وهذه المغفرة لها أسباب «إن لم يأت بها العبد فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلها بل لا سبب لها غيره الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح»[٣].

د) ومن أسباب الإقبال على التوبة التي بينها القرآن الكريم أيضا إجابة دعاء التائبين والمستغفرين، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[٤].

المطلب الرابع:

تكفير التوبة لما قبلها وتبديلها السيئات حسنات

وهو من الأساليب المعينة على الاستقامة والصلاح والإصلاح، وذلك أن عدم تكفير الذنوب والانحرافات والمظالم السالفة يؤثر في مدى استقامة التائب ويسبب له القلق والتوتر، ومن ثم تصبح البشرى الربانية بمغفرة ما سلف من الآثام وعدم المؤاخذة عليها دافعا للتائب للمضي في طريق الاستقامة والخير والإصلاح بكل طمأنينة وراحة وانشراح صدر، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ

(١) سورة الأنعام، آية ٥٤ .

(٢) سورة الزمر، آية ٥٣ .

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق، ص ١٢١٩ .

(٤) سورة هود، آية ٦١ .

﴿كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾[1] قال الإمام القرطبي في تفسير الآية: «قال ابن العربي: هذه لطيفة من الله سبحانه مَنَّ بها على الخلق، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي والآثام، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذة لهم لما استدركوا أبدا توبة، و لا نالتهم مغفرة؛ فيسر الله تعالى عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام وهدم جميع ما تقدم؛ ليكون ذلك أقرب لدخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم لكلمة المسلمين، ولو علموا أنهم يؤاخذون لما تابوا و لا أسلموا»[2].

المطلب الخامس:

استخدام أسلوب الإيحاء في الحث على التوبة

وهو من الأساليب التربوية الفاعلة والمؤثرة والمحققة لأفضل النتائج التربوية وأحسنها، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الإيحاء من خلال الثناء على التائبين من الأنبياء والمؤمنين.وذلك للتشجيع على التوبة والإقبال عليها والترغيب فيها؛ فإشادة القرآن الكريم بأحوال الأنبياء والمؤمنين؛ من كثرة الأوبة والتوبة والإنابة الدائمة والمستمرة إلى الله عز وجل فيه إغراء للآخرين بسلوك نفس الطريق والسير على نفس النهج؛ قال تعالى في بيان تلك الأحوال: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[4] كما أثنى سبحانه وتعالى على نبيه أيوب - عليه السلام - بصفتين خلقيتين هما من أعظم الصفات وأشرفها فقال سبحانه: ﴿إِنَّا

(١) سورة الأنفال، آية ٣٨ .

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ٤٠٢/٧ .

(٣) سورة ص، آية ١٧.

(٤) سورة ص، آية ٣٠.

وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[١] كما كان النبي ﷺ يستغفر الله – عز وجل – في اليوم مائة مرة، فعن الأغر بن يسار المزني – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»[٢] كما بين الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز أن التوبة هي من أعظم أسباب المغفرة والفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾[٤] كما أثنى سبحانه على عباده المؤمنين بصفات عظيمة، فامتدحهم وأشاد بهم من خلالها، وكان أولها صفة التوبة، قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

ولم يقتصر ذلك الثناء بتلك الصفات والتي من بينها صفة التوبة على الرجال فقط، بل أدخل فيها النساء أيضا، فقال سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[٦].

---

(١) سورة ص، آية ٤٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الاستحباب الاستغفار والإكثار منه،ح (٢٧٠٢/٤٢)، ٤/ ٢٠٧٦.

(٣) سورة الإسراء، آية ٢٥.

(٤) سورة ق، آية ٣٢.

(٥) سورة التوبة، آية ١١٢.

(٦) سورة التحريم،آية ٥.

المطلب السادس:

مساواة التائبين بغيرهم في المجتمع المؤمن

ومن وسائل الترغيب في التوبة والتشجيع عليها حفظ مكانة التائبين الاجتماعية ومساواتهم بغيرهم من المؤمنين والمستقيمين؛ من حيث المكانة الاجتماعية، فلا ريب أن مقارفة الذنوب والوقوع في المفاسد والانحرافات تنقص من مكانة الفرد داخل المجتمع وتغض من قيمته وتضعف من تقديره واحترامه، لكن إذا أقلع الفرد عن تلك المساوئ والنقائص، وسلك طريق العفة والاستقامة والرشد، فإنه يصبح من حقه على مجتمعه أن يعيد مكانته السابقة ووصفه السالف إليه، وهذا ما حرص القرآن الكريم على لفت أنظار المجتمع المؤمن إلى ضرورة القيام به وتحقيقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] وقال تعالى في معرض الحديث عن المشركين: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[2].

المبحث الرابع: آثار التربية بأسلوب التوبة

تحدث التربية بأسلوب التوبة آثارا بالغة الأهمية والإيجابية في حياة الفرد والمجتمع؛ ففي الجانب الروحي تؤدي التوبة إلى توثيق صلة الفرد بربه واعتصامه به وإخلاصه له، كما أنها من أعظم الأسباب المؤدية إلى نيل رضا الله عز وجل والحصول على مغفرته ومثوبته، وفي المجال التعبدي تنتج التوبة إنسانا قائما

(١) سورة النساء آية، ١٤٥-١٤٦.

(٢) سورة التوبة، آية ١١.

بواجباته وفرائضه الشرعية على أحسن الوجوه وأفضلها؛ فليس أكثر عبادة لله وانقطاعا إليه من التائبين، وفي ميدان الأعمال الصالحة لا يوجد أمر يدفع الإنسان نحو الصلاح والإصلاح كما تفعل التوبة؛ فالتائبون هم أكثر الناس صلاحا وأشدهم حرصا على الأعمال الصالحة، كما أن التوبة هي خير ما يزكي النفوس ويطهرها من أدران المعاصي والشهوات، وفي مجال السواء النفسي، والاجتماعي يعد أسلوب التوبة من أفضل الأساليب التربوية وأقدرها على تحقيق هذا السواء؛ فليس ثمة أسلوب تربوي يحقق الصحة النفسية والاجتماعية السوية كما يفعل أسلوب التوبة، كما أن الالتزام بالتوبة والتمسك بها من أهم أسباب الرخاء المعيشي والازدهار الاقتصادي، وفيما يلي بيان لهذه الآثار:

المطلب الأول:

الإيمان بالله والإخلاص له والاعتصام به واتباع سبيله

يعد الجانب الإيماني أهم وأبرز جوانب الشخصية الإنسانية من المنظور التربوي الإسلامي، والذي لا تصلح هذه الشخصية في مجموعها إلا بتوفره وتحققه، وقد أوضح القرآن الكريم أهمية التوبة وأثرها في تحقيق الجانب الإيماني؛ فهذا الجانب لا يمكن تحقيقه كما هو واضح في كتاب الله العزيز إلا بوجود التوبة، كما أن تحققه دليل – في الوقت ذاته - على صدق التوبة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ

(١) سورة النساء، آية ١٤٥- ١٤٦.

مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[2].

المطلب الثاني:

نيل محبة الله والحصول على مغفرته

ومن آثار التوبة الصادقة إلى الله عز وجل نيل محبته والحصول على مغفرته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾[4] قال الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾ ((أي كثير المغفرة والرحمة، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا من أعمال القلب والبدن))[5] ومعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ ((أي: سلك الصراط المستقيم، وتابع الرسول الكريم واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، لأنه أتى بالسبب الأكبر للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء، فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله،والعمل الصالح الذي هو الحسنات يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها: من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي به، ودعوة إلى الدين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد وهجر، وغير ذلك من

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٥٣ .

(٢) سورة غافر، آية ٧ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٢ .

(٤) سورة طه، آية ٨٢ .

(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٣٣ .

جزئيات الهداية كلها مكفرات للذنوب، محصلات لغاية المطلوب»[١].

المطلب الثالث:

القيام بالفرائض والواجبات الشرعية

فالعبادة بألوانها من صلاة وزكاة وصوم وحج وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك من الأفعال والأقوال الصالحة التي يعبد بها الله تعالى تأتي قوية ومستمرة نتيجة التوبة إلى الله والإنابة والرجوع الدائم إليه، والقرآن يربط بين التوبة وبين غيرها من السلوكيات الصالحة من عبادة وغيرها ويقرن بينهما في مواضع عديدة، وذلك ليوضح الارتباط القوي والعلاقة الوطيدة بين التوبة وغيرها من الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٣] ولعل الحديث عن التوبة دون غيرها في هذه الآيات وأثرها في تحقيق الاستعانة يوضح الأثر العظيم الذي تحدثه التوبة في النفوس، وما تحققه من إيجابيات ومنافع ومصالح تشمل الفرد والمجتمع وتنتظم الحياة الإنسانية بكافة أبعادها ومختلف تفاصيلها.

المطلب الرابع: الصلاح والإصلاح

فالصلاح والإصلاح –أي إصلاح النفس وإصلاح الغير– مطلبان أساسيان ومهمان في تحقيق الحياة الطيبة واستمرارها، وقد أمر الحق تبارك وتعالى

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢) سورة التوبة، آية ١١٢ .

(٣) سورة هود، آية ١١٢ .

بالصلاح والإصلاح ونهى عن الفساد والإفساد في مواضع كثيرة من كتابه الحكيم، لا يتسع المقام هنا لذكر بعضها فضلا عن جميعها، إلا أن المهم هنا هو بيان أثر التوبة في تحقيق الصلاح والإصلاح الذي أمر الله - عز وجل - به، وجعله أساسا للحياة الآمنة والمطمئنة.

أ) فمن آثار التوبة في جانب الإصلاح، ما تحدثه التوبة الصادقة من النفاق، من إصلاح حقيقي في نفس التائب يشمل باطنه وظاهره[1] قال تعالى مبينا ما تحدثه التوبة من أثر إصلاحي في نفس التائب من النفاق، وما تدفع إليه من إيمان بالله واعتصام به وإخلاص له: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]

ب) ومن آثار التوبة –الإصلاحية –التوبة من الارتداد عن الدين الذي ينذر بأوخم العواقب؛ فالارتداد عن الدين يصيب صاحبه - كما بين القرآن - بالانتكاس وانقلاب القلب، كما يصبح محل لعنة الله والملائكة والناس، ثم يكون مصيره بعد ذلك الخلود في اللعنة والعذاب، ولا سبيل لإنقاذه من هذا المآل إلا بالتوبة وإصلاح العيوب[3] قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ٣٠٩ .

(٢) سورة النساء، آية ١٤٥-١٤٦ .

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المرجع السابق: ص ١٩٢ .

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[1]

ج)ومن آثار التوبة الإصلاحية ما تحدثه التوبة من إصلاح بالغ الأهمية والتأثير في المجال التعليمي؛ وذلك بنشر الحق والهدى والخير ومحاربة الباطل والضلال والشر. فالإنسان قد يتأثر بأهوائه وتغريه شهوات الدنيا ومتعها وأطماعها: من مال،أو جاه،أو رئاسة، أو غيرها؛ فيقلب الحق باطلا والباطل حقا، ويحجب الهدى والخير عن غيره، وينحاز إلى الضلال والباطل، وهو يعرف حقيقته ويدرك زيفه وبطلانه؛ فيؤدي بذلك إلى نشر الضلال والفساد، والتعمية عن الهدى والحق؛ مما ينذر بشر عظيم وخطر جسيم، لا زوال له، ولا مخرج منه إلا بالتوبة إلى الله، وإيضاح الأمور وتجليتها على حقيقتها، ونصرة الخير ومحاربة الشر والفساد؛ لذلك توعد الله الذين يكتمون الحق ويلبسونه على غيرهم بأشد العقوبة التي لا منجى منها إلا بالتوبة إليه من تلك الأعمال، وسلوك سبيل البيان والإصلاح، ونشر الحق وعدم كتمانه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2]

د) ومن آثار التوبة في مجال الإصلاح ما تؤدي إليه التوبة الصادقة من الإقلاع عن الفاحشة والتي تفسد الدين والخلق وتلحق أعظم الضرر بالفرد والمجتمع، والتي لا خلاص منها ولا نجاة من آثارها المدمرة إلا باللجوء إلى التوبة إلى الله والاعتصام بحبله، وبذلك تطهر النفوس وتزول وتمحى الرذائل؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا[3] مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟

(١) سورة آل عمران، آية ٨٦- ٨٩ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٥٩-١٦٠.

(٣) يأتيانها: أي الفاحشة؛ والمراد فاحشة الزنا (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٧٢/١) .

عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

هـ) ومن آثار التوبة في مجال الإصلاح حفظ أمن الفرد والجماعة مما يخل ويضر بهما من الأعمال الإجرامية: كالحرابة، والسرقة فليس ثمة وسيلة تحفظ أمن المجتمع واستقراره كخلوه من تلك الجرائم وأمثالها وحفظه منها، و لا شك أنه لن يكون لأي وسيلة من الوسائل مهما بلغت قوتها وفعاليتها وردعها أن تحفظ على الفرد والمجتمع أمنهما وطمأنينتهما كما تفعل التوبة إلى الله عز وجل من جميع المفاسد والانحرافات والجرائم؛ بما في ذلك جرائم الحرابة والسرقة، ولعل التوجيه القرآني إلى الكف عن أهل الحرابة والسرقة إذا تابوا قبل الإمساك بهم يدل على أهمية التوبة ودورها العظيم وفاعليتها الكبيرة في إعادة الأفراد إلى رشدهم وتحويلهم إلى أشخاص صالحين إيجابيين، لا يخشى أن يصيب المجتمع منهم أدنى ضرر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

و) ومن آثار التوبة في مجال الإصلاح ما تتركه التوبة الصادقة من آثار إصلاحية عظيمة تتمثل في الإقلاع عن أعظم الآثام وأكبر المفاسد والجرائم التي

---

(١) سورة النساء، آية ١٦ .

(٢) سورة المائدة، آية ٣٣- ٣٤ .

(٣) سورة المائدة، آية ٣٨-٣٩ .

تدمر الفرد والمجتمع، وتهلك الحرث والنسل، وتحرق الأخضر واليابس، والتي أعظمها: الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، والزنا، فالتوبة من هذه المفاسد العظيمة والإقلاع عنها يؤدي إلى إصلاح الفرد والمجتمع واستقرارهما إلى أبعد الحدود، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾[1].

المطلب الخامس:

تحقيق الصحة النفسية والاجتماعية السوية

- أولا: تحقيق الصحة النفسية السوية.

يعد الوقوع في الذنوب والمعاصي والانحرافات من أهم وأعظم الأسباب المؤدية إلى الأمراض والاضطرابات النفسية، حيث ترجع الأسباب المؤدية إلى تلك الأمراض والاضطرابات إلى الحياة المحرومة من الإيمان بالله عز وجل[2]. وقد أكدت الدراسات النفسية الحديثة على أهمية الدين وقدرته الفائقة على توفير الأمن النفسي والوقاية من المشكلات النفسية[3]. وإن ما يصيب الواقع في الآثام والمفاسد من الشعور بالقلق والألم والندم والخوف واليأس وغير ذلك من العوارض والاضطرابات النفسية لا علاج له ولا مخلص منه إلا بالتوبة الصادقة

(١) سورة الفرقان، آية ٦٨-٧١ .

(٢) خان، وحيد الدين: الإسلام يتحدى: ص ١٨٦ .

(٣) زهران، حامد عبد السلام: الصحة النفسية والعلاج النفسي، ص ٣٧٧ .

إلى الله تعالى.

أ) فمن أول ثمرات التوبة وإيجابياتها في تحقيق السواء النفسي أنها تكف عن إتيان المعاصي والوقوع في المفاسد بكافة ألوانها وهذا الأمر - في حد ذاته - يساعد- إلى درجة كبيرة - على تحقيق الصحة النفسية السوية للفرد؛ إذ الوقوع في المعاصي والخطايا يعد من أكثر الأمور المسببة للأمراض والاضطرابات النفسية.[1]

ب) كما أن الندم على فعل المعاصي يعد ظاهرة نفسية صحية تؤكد صدق توجه التائب نحو الاستقامة، وتكون بمثابة الأمان نحو عدم العودة إلى الذنوب والمعاصي[2] . وذلك من خلال تخليصه من الإحساس بمشاعر الندم والألم التي تقلق المذنبين؛ فالصدق في التوبة والشروع في حياة الاستقامة يقضي على تلك الأحاسيس التي تسبب الاضطرابات والآلام النفسية المبرحة[3].

● ثانيا: تحقيق الصحة الاجتماعية السوية.

لا يتوقف أثر التوبة عند تحقيق الصحة النفسية السوية؛ بل هو يتجاوز ذلك إلى تحقيق الصحة الاجتماعية السوية أيضا؛ فعندما يقع الإنسان في المعاصي والآثام والانحرافات؛ فإن هذا ينقص من مكانته الاجتماعية ويضعفها ويحط من قدرها؛ بسبب موقف المجتمع منه؛ مما يؤثر على توافقه واستقراره الاجتماعي[4]، ولكن عندما يقلع الفرد عن أخطائه ويكف عن مفاسده وانحرافاته؛ بفعل التوبة وتأثيرها؛ فإن هذا يؤدي إلى إعادة المكانة الاجتماعية المفقودة إلى التائب؛ فالتوبة

---

(١) ضليمي، أحمد عبد الفتاح: تربية الشباب في الإسلام: الجامعة الإسلامية،١٤١٢هـ، بحث دكتوراه غير منشور: ص ٤٩٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع: ص ٤٩٨-٤٩٩ .

(٤) ضليمي، أحمد عبد الفتاح، تربية الشباب في الإسلام، ص ٤٩٧ .

تعيد الثقة بالنفس إلى التائب وتخلصه من الشعور بالدونية والعزلة والضيق والألم، فيعود إليه توافقه الاجتماعي المنشود، ويصبح بذلك إنسانا سويا إيجابيا نافعا لنفسه ومجتمعه وللناس جميعا[١]، وحتى تؤدي التوبة إلى إعادة السواء والتوافق الاجتماعي إلى التائبين، فقد طالب القرآن المجتمع المسلم بالكف عن معاقبه التائبين، واعتبارهم أشخاصا صالحين في مجتمعهم، أسوة بغيرهم من الأشخاص الصالحين الأسوياء، قال تعالى في التائبين من النفاق: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] أي منهم[٣] وقال تعالى في التائبين من الكفر والشرك: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[٤].

المطلب السادس: الرخاء المعيشي

ومن آثار التوبة الصادقة إلى الله عز وجل تحقيق المعيشة الرغيدة الهنيئة التي تتمثل في كثرة الخير من المال والأولاد والزروع والثمار والأمطار والأنهار، وغير ذلك من مباهج الحياة الدنيا وزينتها، ومسببات النهوض والقوة والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

---

(١) نجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس، ص ٣٨٢-٣٨٣ .

(٢) سورة النساء، آية ٤٦ .

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ٤٢٦ .

(٤) سورة التوبة، آية ١١ .

(٥) سورة هود، آية ٣ .

عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ (١). وقال تعالى: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ﴿١٠﴾ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴿١١﴾ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ (٢).

المبحث الخامس: تطبيقات التربية بالتوبة

اتضح من مباحث هذا البحث الأهمية التربوية البالغة التي يشكلها أسلوب التوبة، والأثر الفاعل والإيجابي الذي يمكن أن يترتب عليه، والذي يشمل الكثير من ميادين الحياة ومجالاتها، ويمكن القول: إنه يمكن الإفادة من التربية بأسلوب التربية في كافة البيئات والأوساط التربوية،وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: تطبيقات التربية بالتوبة في الأسرة

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية والتربوية الأكثر تأثيرا في شخصية الفرد وسلوكه وفكره وتوجهاته، فالأسرة هي الوسط الذي يولد فيه الفرد ويأخذ عنه دينه وسلوكه وتفكيره، ويظل هذا التأثير واضحا وملموسا في شخصية الفرد إلى نهاية حياته، ومن ثم وانطلاقا من هذا الدور الهام والمؤثر للأسرة يمكن أن تقوم الأسرة بمسئولياتها فيما يتعلق بتربية أفرادها بأسلوب التوبة من خلال ما يلي:

١- أن يكثر الوالدان من ذكر الله واستغفاره والتوبة إليه في جميع الأوقات، ليتأثر بهما الأولاد ويقتدوا بهما في ذلك.

٢- أن يلمس الأولاد التوبة واضحة جلية في سلوك الوالدين وتصرفاتهما وليس مجرد كلمات تردد، وإنما هي أمر له حقيقته وواقعه في الحياة السلوكية والعملية للوالدين.

---

(١) سورة هود، آية ٥٢ .

(٢) سورة نوح، آية ١٠-١٢.

٣- أن يحرص الوالدان على إيضاح أهمية التوبة للأولاد وقيمتها وفضلها ومكانتها عند الله عز وجل.

٤- أن يبين الوالدان للأولاد المنافع والإيجابيات التي تعود على الفرد والمجتمع من الاهتمام بأمر التوبة والمضار التي تصيب الفرد والمجتمع من التفريط في شأنها.

٥- أن يوضح الوالدان للأولاد سعة رحمة الله ومغفرته وقبوله لتوبة التائب مهما بلغت ذنوبهم، وأن يرتلوا على مسامعهم الآيات، ويذكروا لهم الأحاديث التي تبين ذلك.

٦- أن يبين الوالدان للأولاد حال الأنبياء عليهم السلام مع التوبة ودعوة أقوامهم إليها، مع إعطاء عناية خاصة لحال خاتمهم عليه الصلاة والسلام مع التوبة، وكثرة توبته إلى الله ودعوته أمته إليها.

٧- أن يبين الوالدان للأولاد شروط التوبة التي لا تتم ولا تقبل التوبة إلا بها، حتى يقبل الأولاد على التوبة، بجد وصدق وتتحقق لهم المنافع المنوطة بها.

٨- أن يقوم الوالدان بسرد بعض قصص التائبين والتائبات في الماضي والحاضر على مسامع أولادهما وأن يدعوا أولادهما إلى التأسي بأولئك التائبين في توبتهم وإنابتهم إلى الله تعالى.

٩- أن تحتوي مكتبة البيت على بعض الكتب والقصص عن التائبين، وأن يشجع الأولاد على قراءة تلك القصص، وأن يناقشوا فيما فهموه واستفادوه منها، مع العناية بملاحظة تأثرهم بها.

١٠-أن يستفيد الوالدان من أسلوب التوبة في تربية الأولاد، وذلك بالرفق بهم والتسامح معهم، وإعطائهم الفرص الكافية والدائمة للرجوع إلى الحق والصواب، مهما بالغوا في الخطأ وأسرفوا في الذنوب.

المطلب الثاني:

تطبيقات التربية بالتوبة في المسجد

يقوم المسجد بدور هام ومؤثر في التربية والتعليم والتثقيف والتوجيه والإرشاد، فالمسجد هو الوسط الاجتماعي الأول والأعظم الذي يتولى بناء شخصية الفرد المسلم في أهم جانب من جوانبها وهو الجانب الروحي الذي له أكبر الأثر في بناء وتوجيه تلك الشخصية، كما أن دور المسجد في بناء الشخصية الإسلامية في الجوانب العلمية والخلقية والاجتماعية والنفسية لا يمكن إنكاره فهو واضح وملموس، ومن هنا يعد المسجد المؤسسة الأقدر على إيصال رسالة الإسلام وتفعيلها لدى النشء والشباب والناس جميعا، ومن هذا المنطلق أيضا يستطيع المسجد أن يقوم بدور فاعل ومؤثر فيما يتعلق بالتربية بأسلوب التوبة، وذلك من خلال ما يلي:

١– أن يقوم المسجد بواجبه ورسالته فيما يتعلق بالتربية بالتوبة، وذلك ببيان أهمية التوبة والحاجة إليها، والاستمرار في القيام بهذا الدور من خلال الخطب والدروس والمحاضرات التي تتم عن طريق المسجد.

٢– أن تعنى الخطب والدروس والمحاضرات وغير ذلك من الأنشطة التي تتم من خلال المسجد بتقديم الثقافة المطلوبة فيما يتعلق بالتوبة من حيث مفهومها وأهميتها وشروطها والمنافع التي يجنيها الفرد والمجتمع من التزامها والأخذ بها.

٣– أن يعنى المسجد ببيان الأضرار التي تلحق بالفرد والمجتمع من إهمال التوبة والتفريط فيها.

٤– أن يؤكد القائمون على المساجد على العلاقة التي تربط المسجد بالتوبة، وذلك من خلال بيان الدور الذي يؤديه المسجد في جانب العبادة

والذكر والاستغفار والصلة بالله، وأثر ذلك في تحقيق التوبة النصوح.

المطلب الثالث:

تطبيقات التربية بالتوبة في المدرسة

تقوم المدرسة بدور بالغ الأهمية والتأثير فيما يتعلق بإعداد النشء والشباب وتعليمهم وتثقيفهم وتوجيههم، وإذا كان المجتمع قد أوكل إلى المدرسة أمر التعليم والتثقيف، إلا أن دور المدرسة ليس محصورا في الجانب التعليمي؛ بل هي مسئولة إلى جانب الأسرة والمسجد والمؤسسات الاجتماعية الأخرى عن تربية النشء والشباب وإعداد هم للقيام برسالتهم وواجباتهم في بناء مجتمعاتهم والعمل على نهوضها وتقدمها؛ وذلك انطلاقا من أصول وتوجيهات وأساليب التربية الإسلامية، والتي من أهمها وأبرزها أسلوب التوبة. حيث يمكن للمدرسة أن تستثمر التربية بأسلوب التوبة من خلال الأدوار التالية:

(أ) دور المعلم:

وذلك بأن يعمل على تحقيق ما يلي:

(١) أن يكون المعلم قدوة للتلاميذ في التوبة إلى الله؛ وذلك بالتحلي بالآداب والأخلاق الإسلامية، والبعد عن المفاسد والانحرافات، والالتزام بذكر الله عز وجل، والإكثار من استغفاره والتوبة إليه سبحانه وتعالى اقتداء في ذلك بالنبي ﷺ.

(٢) أن يبين المعلم للتلاميذ أهمية التوبة ومكانتها في الإسلام، وأن يوضح لهم الإيجابيات والمنافع التي تعود عليهم من التوبة إلى الله والإنابة إليه.

(٣) أن يبين المعلم للتلاميذ أحوال الأنبياء عليهم السلام مع التوبة، وأن يوضح لهم هذه الحال؛ من خلال قراءة وشرح الآيات والأحاديث التي تتكلم عن تلك الأحوال.

(٤) أن يبين المعلم للتلاميذ حال النبي ﷺ مع التوبة، وكثرة توبته إلى الله تعالى، وكيف أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يعدون للنبي ﷺ أكثر من سبعين استغفارا في المجلس الواحد؛ مما يؤدي إلى لفت انتباههم إلى أهمية التوبة وفائدتها.

(٥) أن يسرد المعلم على التلاميذ طرفا من قصص التائبين ويلفت أنظارهم إلى أحوال أولئك التائبين قبل التوبة، وما تركته التوبة من تحولات إيجابية في حياتهم وحياة مجتمعهم.

(٦) أن يكون في سلوك وأخلاق العاملين في الحقل التعليمي ما يجسد مفهوم التوبة لدى التلاميذ ويكون خير وسيلة لإقبالهم عليها.

(ب) دور المنهج الدراسي :

وذلك بأن يعمل المنهج الدراسي على تحقيق ما يلي:

(١) أن يعنى المنهج الدراسي بموضوع التوبة وذلك باحتوائه على ما يبين مفهوم التوبة وحقيقتها وشروطها وأهميتها وضرورتها.

(٢) أن يعنى المنهج الدراسي[1] بموضوع التوبة بالتناول المناسب والشمولي لها؛ بحيث يبرز هذا الموضوع ويعطيه العناية التي يستحقها؛ فلا يحصر هذا الموضوع في نطاق محدد، أو يجعل في إطار معين في مادة بعينها.

(٣) استثمار المكتبة المدرسية في العناية بأسلوب التوبة؛ بتخصيص بعض الزيارات للمكتبة للحديث عن موضوع التوبة؛ مع العناية بمشاركة التلاميذ فيما يدور من آراء ونقاش وحوار حول هذا الموضوع.

(ج) دور النشاط المدرسي:

وذلك بأن يعمل النشاط المدرسي على تحقيق ما يلي:

---

(١) يعني الباحث – هنا – بمصطلح المنهج الدراسي: الكتب والمقررات الدراسية .

(١) أن ينال موضوع التوبة العناية والمكانة التي تتناسب مع أهميته في النشاط المدرسي؛ فيكون له من الحضور والعناية ما يحقق الفوائد والإيجابيات المعلقة عليه.

(٢) أن يعطى موضوع التوبة العناية والرعاية الكافية في الأنشطة المدرسية المختلفة وذلك من خلال الصحف المدرسية، والنشاط المدرسي، والجمعيات المتنوعة التي تقام في المدرسة.

(٣) أن يعنى بموضوع التوبة من خلال الأنشطة المدرسية الأخرى؛ كالمحاضرات التي تلقى في المدارس، والأنشطة المسرحية التي تقيمها.

(٤) تكليف بعض التلاميذ بإعداد بعض البحوث والدراسات عن موضوع التوبة ومناقشتهم فيها.

المطلب الرابع:
تطبيقات التربية بالتوبة في وسائل الإعلام

لا تقل وسائل الإعلام – المرئية والمقروءة والمسموعة- في أهميتها وتأثيرها عن الأوساط الاجتماعية والتربوية التي سبق بيان أثرها ودورها التربوي والتعليمي فيما يتعلق بالتربية بأسلوب التوبة؛ بل إن لوسائل الإعلام بما لها من الانتشار والإقبال الجماهيري الواسع أكبر الأثر في نفوس وعقول وقلوب المتلقين؛ ومن هذا المنطلق يمكن الاستفادة من وسائل الإعلام في توظيف التربية بأسلوب التوبة بما يحقق أحسن الآثار وأفضل النتائج إذا ما وجهت هذه الوسائل فيما يتعلق بهذا الموضوع على النحو التالي:

(١) أن تعمل وسائل الإعلام على نشر وبث وإذاعة القيم الفاضلة والمثل السامية والأخلاق الحسنة، وأن تبتعد عن بث ونشر كل ما من شأنه أن يؤدي إلى أضعاف القيم وتفويض الأخلاق.

(٢) أن تعمل كافة الوسائل الإعلامية على دفع وتوجيه الناس للإقبال على الله والإنابة إليه، وذلك من خلال العناية بالبرامج والأنشطة التي تحيي في قلوب الناس وعقولهم معاني التقوى والاستقامة والرجوع إلى الله والالتزام بأوامره والبعد عن مساخطه.

(٣) أن تبتعد وسائل الإعلام عن كافة البرامج والأعمال التي تثير الغرائز وتؤجج الشهوات وتوقظ الفتن وتدفع إلى الإقبال على الماديات والشهوات، مما لا يتيح الفرصة لتزكية النفوس وتنمية الإيمان والإقبال على الله والإنابة إليه.

(٤) أن تعنى وسائل الإعلام بموضوع التوبة عبر أجهزتها وبرامجها ونشاطاتها المتنوعة، وذلك بالتعريف بهذا الموضوع ولفت أنظار المتلقين إلى أهميته وضرورته، وتنبيههم إلى المنافع والفوائد العظيمة التي يجنيها الفرد والمجتمع من الأخذ به، وتحذرهم من العواقب الوخيمة التي تحدث عند تركه والإعراض عنه.

(٥) أن تتعاون الحكومات والمنظمات والأفراد على البر والتقوى، وأن تلتزم في نظمها وأجهزتها وبرامجها الإعلامية بالسير على خط واحد ومنهج واحد هدفه مرضاة الله وغايته، وتحقيق منهجه والتمكين لدينه.

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد عني هذا البحث – كما تقدم ضمن مباحثه – بالكشف عن معاني التوبة في اللغة والقرآن الكريم، كما هدف إلى إيضاح أهمية التوبة، وإبراز مختلف آثارها الإيجابية، ووسائل الترغيب فيها؛ بالإضافة إلى بيان كيفية الإفادة منها في أبرز وأهم المؤسسات التربوية، ومن ثم فقد أسفر البحث في الموضوعات المتقدمة عن النتائج التالية:

(١) إن أمر التوبة في الإسلام أمر عظيم، وشأنها شأن كبير؛ فهي تستغرق حياة الفرد والجماعة بكافة تفاصيلها وكل ما فيها، وقد دل على هذه الأهمية - كما تبين في هذا البحث – الكثير من الاعتبارات؛ كأمر الله عز وجل بها ودعوته إليها، ودعوة الأنبياء أقوامهم إليها، وحالهم وحال أتباعهم معها، وما يترتب عليها من الخير والنفع، وغير ذلك من أوجه أهميتها وقيمتها، كما تم إيضاحه في هذا البحث.

(٢) الكشف عن الكثير من المعاني الهامة والمؤثر للتوبة كالرجوع عن المعاصي، والإقبال على الله، والتوفيق للتوبة وقبولها، والانتقال من الكفر إلى الإسلام، والتخفيف، والإقلاع عن جميع أنواع المعاصي، وكيفية التوبة النصوح، وغير ذلك من معاني التوبة التي دل عليها كتاب الله، والتي وضحها البحث.

(٣) نظرا لما يترتب على التوبة من المنافع والإيجابيات الكثيرة؛ فقد حث الإسلام عليها ورغب فيها، وبين السبل المؤدية إلى الإقبال عليها، والتي منها كما تبين في هذا البحث: إعطاء الفرصة للتائبين، وعدم تقنيطهم من رحمة الله، وبيان محبة الله لهم، وفرحه بتوبتهم، وتوفيقهم للتوبة، وقبولها منهم، ومغفرته

لهم، ورحمته إياهم، وغير ذلك من أساليب وطرق الترغيب في التوبة.

(٤) اتضح من خلال هذا البحث أن هناك الكثير من الآثار والنتائج الإيجابية التي تترتب على التوبة الصادقة إلى الله عز وجل والتي من أهمها وأبرزها ما يلي:

(أ) الإيمان بالله، والإخلاص له، والاعتصام به، واتباع سبيله.

(ب) نيل محبة الله والحصول على مغفرته.

(ج) القيام بما فرضه الله وأمر به، والانتهاء عما نهى عنه.

(د) صلاح الفرد والمجتمع وتحليهما بكافة الفضائل والإيجابيات.

(هـ) إسهام التوبة الصادقة إلى الله عز وجل – وإلى حد بعيد – في تحقيق الصحة النفسية والاجتماعية السليمة.

(و) إن التزام التوبة والأخذ بها والحرص عليها يعد من أهم أسباب الرخاء المعيشي، والتمكين والقوة والنهوض، والتقدم في كافة المجالات والميادين.

(ز) إنه يمكن الإفادة وعلى نحو كبير من التربية بأسلوب التوبة في كافة البيئات التربوية: في البيت، والمسجد، والمدرسة، ووسائل الإعلام وغيرها، وبما يؤدي إلى إعداد الفرد المسلم والمجتمع المسلم؛ الذي يأخذ بالإسلام ويعمل على إظهاره والتمكين له.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء دراسة الباحث لموضوع التوبة وما أسفر عنه من نتائج فإنه يوصي بما يلي:

(١) ضرورة إعطاء موضوع التربية بالتوبة العناية التي يستحقها؛ والتي تتناسب مع عناية كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بهذا الموضوع.

(٢) إن موضوع التوبة موضوع بالغ الأهمية والتأثير في حياة الفرد

والمجتمع المسلم؛ بحيث لا تصلح هذه الحياة ولا تستقيم إلا بالأخذ بالتوبة والعمل بمقتضياتها؛ لذا يجب العناية التامة بهذا الموضوع عبر كافة المؤسسات الاجتماعية وما يصدر عنها من أنشطة مختلفة.

(٣) أن تتضافر جهود كافة مؤسسات المجتمع وجميع المسئولين فيه عن التربية والتعليم والإصلاح والتثقيف والتوجيه على مقاومة جميع ألوان الفكر والسلوك التي لا تتفق مع ما تقتضيه التوبة من توجيهات، أو تخالف ما تستوجبه من أنشطة وسلوكيات.

(٤) العناية بإجراء الأبحاث والدراسات النظرية والميدانية التي تتناول موضوع التوبة من حيث مفهومها وأهميتها وآثارها وأساليب تحقيقها لدى الفرد والمجتمع؛ حيث من الملاحظ ندرة الدراسات والأبحاث النظرية والميدانية التي تتناول موضوع التوبة مع أهميته الكبيرة من منظور التربية الإسلامية.

هذا وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر

(١)القرآن الكريم.

(٢)الأصبحي، مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، (د. ت)، (د. ن)

(٣)الأصفهاني، الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط، محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة (د. ت)، (د. ن).

(٤)البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة (د. ت)، (د. ن).

(٥)الترمذي، محمد بن عيسى: جامع الترمذي، تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

(٦)خان، وحيد الدين: الإسلام يتحدى، تعريب، ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق، د.عبد الصبور شاهين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٧)الرازي، محمد ضياء الدين عمر: تفسير الفخر الرازي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٨)زهران، حامد عبد السلام: علم نفس النمو، الطبعة الرابعة، القاهرة، عالم الكتب. (د. ت)

(٩)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(١٠) الصابوني، محمد بن علي: التبيان في علوم القرآن، دمشق، مكتبة الغزالي، ١٤٠١هـ –١٩٨١م.

(١١) ضليمي، أحمد عبد الفتاح: تربية الشباب في الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإسلامية، عام ١٤١٢هـ، المدينة المنورة.

(١٢) فودة، حلمي محمد، وزميله، المرشد في كتابه الأبحاث (د. ت)، (د. ن).

(١٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(١٤) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الشام للتراث. (د. ت)، (د. ن)

(١٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(١٦) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر. (د. ت)، (د. ن)

(١٧) النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الكتب العلمية. (د. ت)، (د. ن)

(١٨) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق، محمد بن فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي. (د. ت)، (د. ن)

(١٩) يالجن، مقداد: جوانب التربية الإسلامية الأساسية، بيروت، دار الريحاني، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ثانياً: فهرس الموضوعات

مقدمة..... ٣٩٣
المبحث الأول: معنى التوبة ٣٩٩
المطلب الأول: معنى التوبة في اللغة ٣٩٩
المطلب الثاني: معنى التوبة في القرآن الكريم ٤٠٠
المبحث الثاني: أهمية التربية بأسلوب التوبة ٤٠٥
المطلب الأول: أمر الله– عز وجل – بالتوبة ودعوته إليها..... ٤٠٦
المطلب الثاني: وصف الله تعالى نفسه بأنه تواب..... ٤٠٦
المطلب الثالث: دعوة الأنبياء – عليهم السلام – أقوامهم إلى التوبة..... ٤٠٧
المطلب الرابع: أحوال الأنبياء عليهم السلام مع التوبة..... ٤٠٨
المطلب الخامس: دعوة النبي ﷺ إلى التوبة وحاله معها. ٤٠٩
المطلب السادس: التوبة صفة المؤمنين والمؤمنات ٤١٠
المطلب السابع: وجوب التوبة وفرضيتها..... ٤١١
المطلب الثامن: فضل التوبة وقيمتها ونفعها..... ٤١١
المبحث الثالث: أساليب الترغيب في التوبة في القرآن الكريم ٤١٢
المطلب الأول: إعطاء الفرصة الكافية للتائب..... ٤١٢
المطلب الثاني: محبة الله للتائبين وفرحه بهم. ٤١٣
المطلب الثالث: قبول الله لتوبة التائبين. ٤١٤
المطلب الرابع: تكفير التوبة لما قبلها وتبديلها السيئات حسنات ٤١٥
المطلب الخامس: استخدام أسلوب الإيحاء في الحث على التوبة. ٤١٦
المطلب السادس: مساواة التائبين بغيرهم في المجتمع المؤمن..... ٤١٨
المبحث الرابع: آثار التربية بأسلوب التوبة ٤١٨

المطلب الأول: الإيمان بالله والإخلاص له والاعتصام به واتباع سبيله. ... ٤١٩
المطلب الثاني: نيل محبة الله والحصول على مغفرته ٤٢٠
المطلب الثالث: القيام بالفرائض والواجبات الشرعية ٤٢١
المطلب الرابع: الصلاح والإصلاح ٤٢١
المطلب الخامس: تحقيق الصحة النفسية والاجتماعية السوية..... ٤٢٥
المطلب السادس: الرخاء المعيشي ٤٢٧
المبحث الخامس: تطبيقات التربية بالتوبة ٤٢٨
المطلب الأول: تطبيقات التربية بالتوبة في الأسرة ٤٢٨
المطلب الثاني: تطبيقات التربية بالتوبة في المسجد. ٤٣٠
المطلب الثالث: تطبيقات التربية بالتوبة في المدرسة..... ٤٣١
المطلب الرابع: تطبيقات التربية بالتوبة في وسائل الإعلام. ٤٣٣
الخاتمة.....٤٣٥
فهرس المصادر.....٤٣٨
ثانياً: فهرس الموضوعات ٤٤٠